بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ... وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة هود: الآية ٨٨)

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الرسل أجمعين، النبي الصادق الأمين سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ...

منذ نحو نصف قرن من الزمان، بدأ الإنسان في ترديد مصطلح جديد، هو "البيئة" Environment، بعد أن كانت تقتصر نفس الكلمة في معناها على "بيئة الكائن الحي" Ecology. وقد تزامن ذلك مع وقت بدأت فيه ملامح عدو مستتر في الظهور، وبدأ مع ظهوره مشكلات باتت مقلقة، تهدد الإنسان في موطنه الصغير تارة وفي مجاله الإقليمي والكوكبي تارة أخرى، وأصبح هناك عديد من التداعيات التي لم يتوقع الإنسان وجودها أو وصولها لمنعطف غير مسبوق، ليس فقط على مستوى الأفراد أو الأقوام، ولكن على مستوى المعمورة ومجالها الفضائي الشاسع الأرجاء.

والاهتمام بالبيئة، في الأصل، قديم قدم الحضارة العربية والإسلامية. وقد أدلى الكثير من العلماء والمتخصصين والمعنيين بقضايا البيئة وسبل حلولها بدلوهم، مبدين آرائهم ومقترحاتهم تجاه النتائج الخطيرة لإهمال تلك القضايا، وذلك من خلال العديد من الدراسات ونتائج الأبحاث في المجالات المتنوعة للبيئة. وكم عُقدت من مؤتمرات وندوات ولقاءات، تبحث وتمحّص في مواجهة تلك القضايا التي تعددت أوجهها وتنوعت آثارها. وكم أُبرمت من اتفاقيات ومعاهدات بين دول وأقاليم لمواجهة خطر التدهور البيئي الذي لا يميز بين جنس أو لون أو عقيدة. وعجباً حينما نتذكر أن الطبيعة في ذاتها بريئة من ذلك الخصم أو الإتيان به في مواجهة الإنسان، إلا فيما ندر، حيث كان خَلق ذلك العدو وإطلاقه من أغلاله- مع الأسف- من صنع الإنسان نفسه، تارة عن جهل وأخرى عن تجاهل، رغم حثّ الخالق سبحانه وتعالى في رسالته المحمدية، خاتمة الديانات السماوية، على الاهتمام بالبيئة والعناية بها.

ويتواتر في عالم اليوم صدى المشكلات البيئية بكوكب الأرض وحوله، نتيجة كمّ الإهمال البشري وتراكماته، لعل أبرزه ظاهرة ارتفاع حرارة الأرض وتبعاتها فيما اصطلح على تسميته بالاحتباس الحراري، ومخاطر الثقب الحادث في طبقة الأوزون وغيرها من تداعيات.

وتعاني مختلف الدول من مشكلات بيئية، متفاوتة الحدة والحجم قدر تفاوت الاهتمام والرعاية لمختلف مكونات البيئة. ولعل مدى السيطرة المبذولة على عناصر التلوث هو الدال الرئيس لمدى تواجد تلك المشكلات وشدّة تفاقمها. فنرى عادة في الدول المتقدمة بيئياً اهتماماً فائقاً بالبيئة ومكوناتها، ولعل هذا مرجعه الأساسي علو درجة الوعي وصرامة القوانين وصدى تطور العلوم المتنوعة ورسوخ مفاهيم الثقافة البيئية. ورغم تعاليم ديننا الحنيف في العناية بالبيئة ومكوناتها، فما زال هناك العديد من الدول العربية والإسلامية تعاني من تداعيات بيئية متنوعة تتطلب مواجهة جذرية حاسمة للإحاطة بها والقضاء عليها.

وتُلقي هذه الدراسة في مجملها ضوءاً مركزاً على البيئة ومفهومها والحفاظ عليها في الإسلام، ومسئولية الفرد والمجتمع تجاهها، وتداعيات إهمالها على الحياة العامة من خلال دراسات وتطبيقات معاصرة. وتُستَهل الدراسة بعرض لمفهوم البيئة وأبعادها، ثم البيئة ورعايتها في التراث العربي، وحفاظ الإسلام عليها وعنايته بها، ومسئوليات الفرد والمجتمع تجاه البيئة المحيطة، ثم نتائج الإهمال وعدم الاكتراث تجاه مكونات البيئة، استدلالاً بدراسات معاصرة حول المخاطر البيئية العالمية والعربية ونماذج متنوعة من التأثّر البيئي في عالمنا العربي.

هذا وقد تم الاعتماد بصفة أساسية على القرآن الكريم- جل من أنزله- والسنة المطهرة بما تتضمنه من الأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك على مصادر قديمة ومراجع حديثة عربية وأجنبية تتعلق بمختلف المحاور المعنية.

وقد اقتضت طبيعة الكتاب أن يأتي في مقدمة، وثلاثة أبواب، الأول يتكون من ثلاثة فصول، والثاني يتكون من فصلين، والثالث يتكون من ثلاثة فصول، الأخير منها يشمل الخلاصة والاستنتاجات والتوصيات. وقد ذُيّل العرض بقائمة المصادر والمراجع وفهرس عام.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر الوافر لكل من ساهم في ظهور هذا الكتاب، بالتشجيع أو بالفكر أو بالجهد، وأخصّ بالذكر الزميل الأستاذ الدكتور فاروق عبدالقوي عبدالجليل

لتشجيعه المخلص والدائم، والإبن الفاضل محمد عبد العال محمد المدرس المساعد بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط لمعاونته في إخراج الأحاديث النبوية الشريفة وإسنادها إلى رواتها، وتلميذي الكريم سليمان محمد الصغير لمساعداته الفنية السخية في مراحل الإعداد.

وبعد، فهذا ما وفقني الله له، فله دوام الحمد والمنة، ما كان في القلب نبض وبالعمر بقية. وإنني إذ أقدم هذا الكتاب لقراء العربية، لأتمنى أن يحقق ما يرجى منه في مواجهة قضايا البيئة على امتداد أمتنا الإسلامية، وأن يكون عوناً ومرجعاً للمهتمين بالبيئة وقضاياها، في كل بقعة من أرض الإسلام وأرجائه المباركة بالرسالة المحمدية، راجياً أن يكون قد وفيته- قدر الإمكان- حقه، سائلاً المولى تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، أن يجعل عملي هذا موافقاً لما يحب ويرضى، خالصاً لوجهه الكريم، وبه ينفع كافة المسلمين ويربو حسناتي يوم الدين.

وبالله الهدى وبنوره كل السداد والغنى ،،،

المؤلف